الأنا والآخر :علاقة ضدية (جبران خليل جبران أُنموذجاً)

الباحث غانم عبد السادة خليف
الجامعة المستنصرية/كلية الآداب/قسم اللغة العربية
alshowily@yahoo.com

أ.د.عصام عسل حسن
الجامعة المستنصرية/كلية الآداب/قسم اللغة العربية
Drisamalasal@gmail.com

(مُلَخَّصُ البَحث)

مما لاشك فيه أن عملية كشف الآخر لاتتم بمعزل عن الذات، فهما وجهان لعملية واحدة، فكل منهما يسعى الى تحقيق وأثبات وجوده على حساب الآخر، أذ لا وجود للانا الا من خلال الآخر، وحيث أن لكل ثنائية في الفلسفة من علاقة تربط طرفيها لذا فأن العلاقة الضدية تمثل صورة للعلاقات التي تجمع المفاهيم المتضادة أو المتناقضة، لذا فسنحاول فهم تجليات العلاقة بين الأنا والآخر في ضديتها وفقاً لما انتجته أفكار الكاتب جبران خليل جبران في بلورة هذه المفاهيم في حدود مفهوم السرد.

المقدمة:

أجمعت المعاجم الحديثة في مجال العلوم الإنسانية على وصف الأنا والاخر بأبسط تعريف لها:("فالأنا"ضمير المتكلم الواحد، وهو تعبيرٌ عن النَّفس الواعية لذاتها، واما "الآخر" فهو ذات ثانية)(مراد وهبة،٢٠٠٧،ص٩٥-٩٧)(Murad Wahba, 2007, pp. 95-97).ولاتتم عملية كشف الآخر بمعزل عن الذات، ، أي بمعنى اخر هما وجهين لعملية واحدة، وكل منهم يسعى الى تحقيق واثبات وجوده على حساب الآخر، "فكل ما هو خارج الذات هو آخر بالنسبة إليها، وذلك لأن "الآخر" في أبسط صوره هو مثيل أو نقيض (الذات) أو (الأنا)(ميجان الرويلي،د.سعد البازعي،٢٠٠٣ ،ص ١٤)(Megan Al-Ruwaili, Dr.) (Saad Al-Bazai, 2003, p. 14 ، وحيث ان الثنائية هي مصطلح يقوم على الربط بين الظواهر المنفصلة والتعالق بينها،فقد سكنت ثنائية (الأنا والآخر) الوعي البشري منذ التكوين في مفارقة (الخالق والمخلوق) أو(الاعلى والادنى)أو(السماء والارض)، ومع بداية التكوين البشري ظهرت أولى الثنائيات البشرية في الذكر والانثى (آدم وحواء)، ثم هبطت الثنائية الى العالم الارضي لتشكل الوجود داخلياً في مثل (الحب والكره) وخارجياً في مثل (البياض والسواد)، ومع التطور الانساني اجتماعياً وثقافياً اكتسبت ثنائية (الأنا والآخر) طابعاً ثقافياً وسياسياً وعنصرياً،حتى تسرب تأثير هذه الثنائية الى الابداع الادبي في ابنيته المختلفة (الرواية –الشعر – القصه – المسرح)، فكان هناك الصراع بين المبدع وشخوصه، وبينه وبين مجتمعه وبينه وبين وقائع شعره أو سرده (محمد عبد المطلب ٢٠١٥،ص ٢١٥)

(Muhammad Abdul Muttalib 2015, p. 215) حتى طغت ثنائية (الأنا والآخر) في الأعمال السَّردية ،واحتلت مكانةً هامة في الفكر العربي الحديث، ومن ذلك موضوع "الهوية وسرد الآخر" الذي بات يشق طريقة في الدراسات الفكرية والأدبية الحديثة، انطلاقاً من سعي الذات وبحثها لأكتشاف الآخر والتعرف عليه ، سيّما ان ان العلاقة بين طرفي الأنا والآخر ترتبط ارتباطا كبيرا بالعوامل النفسية للفرد، نتيجة لأثر البعد النفسي أو الثقافي والاجتماعي في شخصية ذلك الفرد او شخصية الآخر مما قد يتسبب في رفض او تقاطع احد الطرفين ،او حدوث العكس على نحو من القبول او التقارب والتوافق فيما بينهما، فتقبل الآخر يرتبط بتقبل الذات بكل ما فيها من قوة وضعف فإذا تقبل المرء ذاته ، تقبل الآخر وتوافق معه ، وعنئذ ستكون العلاقة علاقة تكافؤ متبادلة بينهما ، واما الضدية مع الآخر فتكون مع الآخر المختلف، فإنه بطبيعة الحال يغير من تقاليد وهوية الأنا وينصدم بأمور منعدمة فيه، ومغايرة تماماً لما ألفه فقد يصطبغ ببصمات من الأنا وقد تأخذ هي من عنده كذلك، كما قد يشكل خطورة على الأنا باعتباره قضية عميقة جامعة ومانعة في حال كان هو الطرف الأقوى في الثنائية على صعيد اللغة والكتابة والمعايشة"(جاك دريدا،٢٠٠٩،ص١٠٩)(Jacques Derrida, 2009, p.109) لذا فسنحاول فهم تجليات العلاقة بين الأنا والآخر في ضديتها وفقاً لما وجدناه في نصوص الكاتب جبران خليل جبران وبلورته لهذه المفاهيم في حدود مفهوم السرد.

الأنا والآخر: علاقة ضدية

لابد لكل ثنائية في الفلسفة الكونية من علاقة تربط طرفيها.. ومن هنا فأن الثنائيات تمثل صورة للعلاقات التي تجمع المفاهيم المتضادة أو المتناقضة أو التي يجمعها رابط علائقي آخر، والثنائية في المفهوم الفلسفي هي : (الثنائي من الاشياء ماكان ذا شقين ، والثنائية هي القول بزوجية المبادئ المفسرة للكون كثنائية الاضداد وتعاقبها)(جميل صليبا،١٩٧١، ص٣٧٩)(Jamil Saliba, 1971, p. 379)، واما التضاد في الاصطلاح فقد جاء متفقاً مع المعنى البلاغي وهو الجمع بين الضدين أو المعنيين المتقابلين في الجملة(مجدي وهبه ،كامل المهندس،١٩٨٤ ص٢٣٢)(Magdy Wahba, Kamel Al-Mohandes, 1984 p. 232) وقد عرفه العرب باسماء اخرى ونظروا اليه في نقدهم البلاغي القديم وصنفوه في حقل البديع على انه مرادف للطباق والتكافؤ والمقابله، وعرفه بعضهم بانه تضاد باللفظ وتضاد بالمعنى ،والتضادان هما اللذان ينفي احدهما عند وجود صاحبه(الخطيب القزويني،٢٠٠٨،ص ٣٣٣) (Al-Khatib Al-Qazwini, 2008, p. 333) ورغم وجود الثنائيات الضدية كظاهرة فلسفية في تراثنا العربي الا انها سرعان ما نُقلت الى النقد الادبي الغربي،اذ عُد مصطلح الثنائية الضدية Binary Opposition مفردة

من مفردات الثقافة الغربية،,واكدوا فاعلية وجوده في النص الشعري بوصفه معنى يفجر الطاقة الشعرية في الصور والمعاني(ماجدعبد الحميد،٢٠٠٦،ص٥٣)(Majid Abdel Hamid, 2006, p.53) وليشكل عصب المدرسة البنائية في النقد والتحليل البنيوي،وينحدر هذا المفهوم بوصفه مفهوما بنيوياً في دراسات شتراوس حول الاساطير، اذ لم تستخدم اللسانيات والتحليل البنيوي فكرة الثنائيات الضدية من جهة الكلمات والمفاهيم فحسب بل من جهة تقاليد النص ورموزه،كما ربطت البنيوية بين العلامة والمتضادات الثنائية، فجمعت بين الدلالة والتماثل بين المقابلات ،في حين تبنت التفكيكية مفهوم الثنائيات الضدية لكنها ابتعدت عن التوفيق بين الاضداد، فالتفكيك تغير لانهائي للنص بينما يرى البنيويون النص مغلقاً، اما نقادنا المحدثون فقد اعتمدوا على معطيات الفكر الغربي، وكل ناقد فهم الثنائيات ضمن المنهج بطريقته الخاصة(سمر الديوب٢٠٠٩،ص ٥-٧)(Samar Al-Dayoub 2009, pp. 5-7)، وسنبدأ بالثنائيات المعنوية عند جبران خليل جبران وطريقة توظيفها في نصوصه السردية .

تمثل العلاقة الضدية في ادب جبران خليل جبران رؤيته في سرده لاحداث قصته (خليل الكافر) (جبران خليل جبران ٢٠١٤،ص ٦٦)(Gibran Khalil Gibran 2014, p. 66) ضمن ثنائية (الخير والشر)، وهي قصة تحكي فساد الدين واستخدامه كأداة لفرض الخضوغ على أتباعه بدلا من العدل والرحمة .

ينهض البناء السردي في هذا القصة على تعدد الأصوات، وقد احتل صوت بطل القصة (الشاب خليل) _ المعبره عن أنا الكاتب_ احد طرفي العلاقة المتمثل بـ(الخير)، الحيز الاكبر في مسار السرد ، فهو الفتى الذي اوضح لسكان البلدة ظلم الاقطاعين واستبدادهم وكذِّب رجال الدين وقساوتهم وطمعهم داعياً الى الحرية، مما دعا برهبان الدير ان طردوه :(**نعم خرجت مطرودًا من الدير لأنني لم أستطع أن أحفر قبري بيدي .. لأن نفسي أبت أن تتنعم بأموال الفقراء والمساكين، لأن روحي قد امتنعت عن التلذذ بخيرات الشعب المستسلم إلى الغباوة.. لأن خوفي لم يعد يقبل الخبز المعجون بدموع اليتيم والأرملة، لأن لساني لم يعد يتحرك بالصلاة التي يبيعها الرئيس بأموال المؤمنين والبسطاء.. لأنني رددت على مسامع القسس والرهبان آيات الكتاب الذي جعلهم قسسًا ورهبانًا)** ، بينما يتجلى الطرف (الآخر) في العلاقة الضدية المتمثل بـ(الشر) في شخوص عده ومنها شخصية الشيخ (عباس) ،ذلك الاقطاعي المرابي، المالك لحقول الزراعة واكواخ الفلاحين في البلدة،ولم يكن استسلام اولئك المساكين الى الشيخ عباس وخوفهم قساوته صادرين عن ضعفهم وقوته فقط، بل كانا ناتجين عن فقرهم واحتياجهم اليه، فضلاً عن ذلك وكما يخبرنا السارد :(**فالشيخ عباس الذي كان في تلك القرية وليًّا وحاكمًا وأميرًا كان**

محبًّا لرهبان الدير، محافظًا على تعاليمهم وتقاليدهم؛ لأنهم كانوا يشاركونه بقتل المعرفة وإحياء الطاعة في نفوس حارثي حقوله وكرومه)(جبران خليل جبران ٢٠١٤،ص ٧٤) (Gibran Khalil Gibran 2014, p74) وتأخذ الاحداث بعدها الرمزي المتمثل بـ(الآخر الشرير) في هذه الثنائية على عاتق هذه الشخصية في هذه القصة ،اذ يأمر خدمه في البحث عن الشاب "خليل" واحضاره ليُقدم الى المحاكمة كمجرم كفر بنعمة الرب : **(فاقترب أحد الخدام وألقى يده بعنف على كتف خليل وقال بصوت أجش: «ألست أنت الشاب المطرود من الدير؟ فأجابه خليل ببطء: أنا هو فماذا تريدون؟ فقال الرجل: نريد أن نسير بك مكتوفًا إلى منزل الشيخ عباس وإن أبديت ممانعة نجرك على الثلج كالخروف المذبوح)** (جبران خليل جبران ٢٠١٤،ص ٧٥)(Gibran Khalil Gibran 2014, p. 75) في هذه القصة يتوازى طرفا الثنائية الضدية بين (الأنا) و (الآخر) في علاقة سلبية انطوت على درجة من التعارض والانفصام كشفت بدورها عن وجوه واضحة من الرفض لقيم الآخر ومسلكه و اختلافاً افضى الى التباعد والتقاطع والبغض والكراهية والعداء بينهما ، ومن هنا نلمس أثر الهوية السردية في صياغة وبلورة الهوية الثقافية للأديب سيّما في تعاملها مع (الآخر) وبيان موقفها المعارض للعبودية والتوق الى التحرر، كجزء من رسالته بما امن به ودافع عنه .

وفي قصة (مرتا البانية) ، التي تحاكي الجانب الاجتماعي، نلمس تجلي ثنائية (الخير والشر) في أدب جبران السردي الأقرب الى الواقعي منه للمتخيل،اذ يعرض لنا جبران قصة فتاة مات والدها وهي في المهد ، وماتت امها قبل بلوغها العاشرة، وتركت يتيمة في بيت جار فقير، وعند بلوغها سن السادسة عشرة ، تقع ضحية "فارس غريب" لينتزع منها شرفها ويبتاع عرضها بالمال، ثم يتركها ورضيعها تقاسي مضض الجوع والبرد والخوف ، حتى تموت وحيدة منبوذة ، فلا يحضر دفنها إلا ابنها الوحيد وصديقه.

في قراءتنا لأحداث هذه القصة التي تؤسس لنقد مزدوج للذات والآخر، نلمس تجلياً واضحاً للهوية السردية المضطربة وكراهية الآخر ضمن سياق الصراع التي مثلت ثنائيّة مدارها (الخير والشر) ،كشف من خلالها جبران الذي لم يفصل بين دوره روائياً وراوياً عليماً سارداً للنص في آن واحد عن صوت الأنا المقهورة بقوله :**(أنتِ مظلومة يا مرتا، وظالمكِ هو ابن القصور ذو المال الكثير والنفس الصغيرة. أنتِ مظلومة ومُحتقَرة)**(جبران خليل جبران ٢٠١٤،ص٢٦) (Gibran Khalil Gibran 2014, p.26) مبينا لنا السارد عن شيءٍ من واقعية الحدث في حواره مع مرتا: **(لا تخافي يا مرتا، فأنا لم أجئ إليك كحيوان جائع، بل كإنسان مُتوجِّع. أنا لبناني، وقد عشتُ زمنًا في تلك الأودية والقرى القريبة من غابة الأرز)**(جبران خليل جبران ٢٠١٤،ص٢٨) (Gibran Khalil Gibran)

2014, p.28 وحيث ان القصة من حيث هي سرد لوقائع ما، لديها بنيتها الخاصة واحداثها وشخوصها، فقد كشف لنا الراوي الضرر البالغ الذي تسبب به الاخر(الفارس الغني) الذي اكتست العلاقة به طابع العداوة والبغضاء، ومصوراً للقارئ الاوضاع التي عاشتها الذات المغلوبة في صراعها مع (الاخر)، وقد جاء في قول (مرتا) الذي لخص طبيعة الصراع : **(انا مظلومة، أنا شهيدة الحيوان المختبئ في الانسان، انا زهرة مسحوقة تحت الاقدام.. في ذلك البيت المنفرد تركني الظلوم ورضيعي نقاسي مضض الجوع والبرد والوحدة، لا معين لنا غير البكاء والنحيب، ولا سمير سوى الخوف والهواجس...وعلم رفاقه بمكاني وعرفوا بعوزي وضعفي ، فجاء الواحد بعد الاخر، وكل يبتغي ابتياع العرض بالمال ،واعطاء الخبز لقاء شرف الجسد)**)(جبران خليل جبران ٢٠١٤،ص29) (Gibran Khalil Gibran 2014, p.29)، ينطلف جبران في ترجمته لمعاناة (الذات) قبال (الآخر) ،في هذه القصه بتوظيفه لثنائية التضاد (الخير والشر) بين الذات المقهورة والمجتمع القاهر، على اعتبار ان الذات هي نتاج اجتماعي ، وان للمجتمع (الآخر هنا) دورا مهما على السلوك، فهو يؤثر بالسلب والإيجاب على نمطية سلوك (الذات) من خلال عملية التفاعل التي بدا دورها الايجابي غائبا تماما في هذه القصة ، مما ولد انزياحاً واضحاً باتجاه السلوك المنحرف والتعسف المقيت في محاولة من البعض لسحق (الآخر الضعيف)لاعتقادهم بما يمتلكون من سلطة وثروة ان الآخرين هم اناس من الدرجة الثانية، وان لهم الحق في تقرير مصيرهم في ظل شريعة الغاب ، ومن هنا فقد لجأ جبران الى سرد الأحداث بتبني منطق تتابع الاحداث وفق نظام زمني وسببي معين في تجل واضح لمفهوم (الأنا والآخر) ضمن سياق ثنائية (الخير والشر)،في محاولة جريئة لبيان ظلم المجتمع وجوره وكيف ينأى الدين بعيدا عن معالجة قضايا المجتمع ، وغياب الشرائع التي وضعتها الجامعة البشرية، وفي ذلك نقد واضح من لدن الكاتب للكنسية ورهبانها التي تبيع الدين للعوام على خلاف ما ورد من تعاليم السيد المسيح عليه السلام، فكانت الأزمة الإنسانية التي صورتها احداث القصة في ظل تلك المعطيات، هي أزمة البطلة المظلومة (مرتا) التي عاشت منفاها وغربتها وحيدة ، مقابل لا مبالاة من قبل (الآخر) المتسم بالصفات المنافية للخلق الانساني وتعاليم السماء.

وتطل علينا لوحات أخرى في نصوص جبران خليل جبران ارتكزت في بنيتها على ثنائيات أخرى ضمن نطاق البنية السردية وكشفت لنا طبيعة العلاقة بين وجهي (الأنا والآخر)، ومنها ثناية (الوطن والشتات)، اذ يصف لنا جبران مدى التفاوت بين حال قومه في وطنه الأم حيث الجوع والموت في ظل الاحتلال العثماني ،بينما ينعم القوم في البلاد التي هو فيها بطمأنينة ورخاء، فكان صوت (الأنا) المتوجعة لحال (الآخر) الأهل من جهة والناقمة على (الآخر) المحتل من جهة اخرى :(**مات أهلي جائعين، ومن لم يمت جوعًا**

قضى بحد السيف، وأنا في هذه البلاد القصية أسير بين قوم فرحين مغبوطين يتناولون المآكل الشهية، والمشارب الطيبة، وينامون على الأَسِرَّةِ الناعمة، ويضحكون للأيام، والأيام تضحك لهم..مات اهلي لانهم لم يحبوا اعداءهم كالجبناء، ماتوا لانهم لم يكونوا مجرمين) (جبران خليل جبران ٢٠١٤،ص249) (Gibran Khalil Gibran 2014, p.249).

جسد لنا النص الجبراني علاقة الذات بالآخر في مفارقة سردية كشفت عن رؤية جبران النقدية للواقع ورفضه للنزعة السلطوية المهيمنه على البشر واقصاء الآخر، كما اشار النص في اتكائه على ثنائية التضاد (الوطن والشتات) على نحو غير مباشر نفيه للصفات السلبية عند العرب كالجبن والاجرام والحاقها بالآخر الغربي المستعمر ، مصدر كل شر للأنا.

(الانسان والشيطان) ثنائية ضدية اخرى نلمح حضورها في نصوص جبران خليل جبران نستشف من خلالها جدلية العلاقة بين الأنا والآخر،ومن هذه النصوص التي تتجلى فيها الثنائية الضدية لرسم خطوط العلاقة بين الأنا والآخر مانجده في قصة(الشيطان) (جبران خليل جبران ٢٠١٤،ص٢٦٣) (Gibran Khalil Gibran 2014, p.263) ،اذ قدم لنا جبران في هذه القصة كائنا ضدياً يعمل على تقويض الخير في الذات الانسانية بعد أن البسه السارد صفات آدمية ،كالتجسيم والانين والكلام ونزف الدم والتعري وغير ذلك من الصفات البشرية التي لم يألفها الادب العربي في تصويره لشخصية الشيطان حتى مطلع القرن العشرين، أذ يسمع الخوري سمعان انين جريح يستغيث به، فيطلب منه الكشف عن هويته، ويفضي اليه الجريح بحقيقته بانه "الشيطان" **(في عشية يوم من أيام الخريف، وقد كان الخوري سمعان سائرًا إلى مكان خالٍ نحو قرية منفردة بين تلك الجبال، والأودية، سمع أنينًا موجعًا آتيًا من جانب الطريق، فالتفت فإذا برجل عاري الجسم منطرح على الحصباء، ونجيع الدم يتدفق من جراح بليغة في رأسه وصدره، وهو يقول مستنجدًا: أنقذني أشفق علي فأنا مائت.. فتحرك الجريح قليلًا، وشخص بعيني الخوري، وقد ظهرت على شفتيه ابتسامة معنوية، وبصوت هادئ ناعم عميق:"أنا الشيطان")**.عنئذ يقرر الخوري سمعان ان يتركه ليموت بقوله : **(إن أصابعي التي ترفع الذبيحة الربانية في كل يوم لن تلمس جسدك المصنوع من مُفرزات الجحيم. فمُتْ ملعونًا من ألسنة الدهور، وشفاه الإنسانية؛ لأنك عدو الدهر والعامل على إبادة الإنسانية)** الا أن الشيطان مالبث ان استوقف الكاهن قائلا:**(ليست عداوتي للإنسانية أشدَّ سوادًا من عداوتك لنفسك، فأنت تُبارك ميخائيل، وهو لم يُفِدْكَ بشيء، وتجدف على اسمي في ساعة انكساري، مع أنني كنت ولم أزَلْ سببًا لراحتك وسعادتك. أتجحد نعمتي وتُنكر معروفي وأنت عائش في ظلال كياني؟ أوَلم تتَّخِذ وجودي صناعةً لك واسمي دستورًا لأعمالك)**

انطلق جبران في هذه القصة التى اضفى عليها طابع الرمز الى نزوع سردي سعى من خلاله الى خلق الاثارة الدرامية في نمط من الحوار بين شخصيتين متضادتين، مثلتا حضور (الأنا والآخر)، بعد ان عرض لنا عملاً مشتركاً بين شخصيتين احدهما واقعية تمثلت "بالخوري سمعان" ذلك الكائن البشري الذي يقطن احدى قرى لبنان، والاخرى متخيلة تمثلت بـ"الشيطان" وهو مخلوق لامرئي في طبيعته ، ومن هنا يتأثث نص تخييلي يسعى السارد ضمنه لرسم تمثلاته عن ذاته وما يجاورها، كما يأمل في خط ثنايا قد توصله الى فضاء الامكان، فالواقع اليومي تحوّل لفائدة مانسميه تنويعات تخييلة مطبّقة على الواقع (بول ريكور،٢٠٠٩، ٧٩) (Paul Ricoeur, 2009, 79) ،وهذا إنما يتأتى من سعة التجربة الجبرانية ، فضلاً من ان الكاتب في هذه القصة قد جعلنا امام علاقتين في نص واحد ،(الأنا والآخر) تضاد تارة، وتارة توافق وتالف ، فالشيطان بعد ان كان العدو لخوري سمعان ،اضحى منقذاً له ،يحمله على ظهره ليضمد جراحه **(فاقترب الخوري سمعان من الشيطان وقد شمر عن ساعدين وشكل اطراف عباءته بحزامه ورفع الشيطان فوق ظهره ومشى نحو الطريق)**، فانقاذ الخوري سمعان للشيطان كان يعني انقاذه لنفسه، في تجل واضح لضعف الأنا امام الذات، فالكنيسة في نظر جبران قد تحولت الى مؤسسة اقتصادية مادية تنظر الى المنفعة والمصلحة ، وان خالفت بذلك تعاليم السماء ، وفي ذلك نقد بصياغة سردية اراد منها الكاتب بيان مدى انخداع الناس بالبهرج الخداع لاعمال الكهنة ،وهو ماسار عليه جبران في جل اعماله الادبيه الاخرى.

ويتوازى طرفا الثنائية الضدية (الضعف والقوة) ،ويتوارى احدهما وراء الآخر، وتتكشف مواجهة الأنا مع الآخر عن صور من التوجس والحذر في بعض ادبيات جبران ، وما رسالته (الى المسلمين من شاعر مسيحي)(جبران خليل جبران ،نصوص،١٩٩٤،ص٢٠٨) (Gibran Khalil Gibran, Texts, 1994, p.208) في مناهضته للضعف العربي قبال الهيمنة والقوة العثمانية والاوربية الا دليلاً واضحاً لما ندعيه ،حيث يقول :**(ماذا يغركم ايها المسلمون بالدولة العثمانية وهي اليد التي هدمت مباني أمجادكم ،بل هي الموت الذي يراود وجودكم..خذوها يامسلمون من مسيحي أسكن "يسوع " في شطر من حشاشته و "محمداً " في الشطر الاخر،ان لم يتغلب الاسلام على الدولة العثمانية،فسوف تتغلب امم الافرنج على الاسلام،ان لم يقم فيكم من ينصر الاسلام على عدوه الداخلي فلاينقضي هذا الجيل الا والشرق في قبضة ذوي الوجوه البائخة والعيون الزرقاء)**

وقد كرر جبران توظيفه لثنائية (الضعف والقوة) في بيان العلاقة بين الأنا والآخر مرة اخرى في رسالته (الى السوريين) (جبران خليل جبران ،نصوص،١٩٩٤،ص٢٨) (Gibran Khalil Gibran, Texts, 1994, p.28) التي حملت المطلب ذاته في الدعوة الى خلع

لباس الضعف وارتداء درع القوة دفاعا عن سوريا ،اذ يقول: **(لقد فتك الاعداء بابنائها وهدمت الحروب بروجها وهياكلها وافنت اللصوص حقولها وكرومها..لقد اختلس الفاتحون خزائنها واقتسم الجنود عقودها واساورها وسرق الرعاع اثوابها..دعوها تقضي فهي امام عرش الموت اكبر هيبة منكم تحت اقدام العبودية)**، ولقد لمسنا تحولاً واضحا في الاسلوب الجبراني من القصصي الى المباشر، بعد أن بدأ جبران يتخلص من مفاهيمه القديمة منتقلاً الى الاسلوب المباشر،الانسب للتعبير عن رؤيته ، متخلصاً من الشكوى ونبرات الضعف، وبات اسلوبه الجديد يحمل دلالة القوة والوضوح.

واما الشكل الاخر من اشكال هذه الثنائيات الضدية والذي يحلينا اليها النص الجبراني هو (الفقر والغنى) ،الذي يعد هو الآخر شكلاً من اشكال الثنائيات المهيمنه في اغلب نصوص جبران خليل جبران الذي سلط الضوء على مشكلة (الفقر والغنى) في اكثر ادبياته شعراً ونثراً، ففي احدى نصوصه النثرية (بين الكوخ والقصر)(جبران خليل جبران ٢٠١٤،ص ١٥٦) (Gibran Khalil Gibran 2014, p. 156) يصف لنا جبران حال الفقير الذي يعمل تحت وطأة الشمس في بساتين الاغنياء الاقوياء الذين فرغوا ليلة البارحة من اللهو والقصف والخلاعة في تجل واضح لعلاقة الأنا بالآخر اذ يقول :

(جاء الفجر فهب ذلك الفقير من نومه وأكل مع صغاره وزوجته قليلا من الخبز والحليب ثم قبلهم وحمل على كتفه معولا ضخما وذهب الى الحقل ليسقيه من عرق جبينه ويستثمر ويطعم قواه اولئك الاغنياء الاقوياء الذين صرفوا ليلة امس بالقصف والخلاعة، طلعت الشمس من وراء الجبل وثقلت وطأة الحر على رأس ذلك الحارث،وأولئك الاغنياء مابرحوا خاضعين لسنة الكرى الثقيل في صروحهم الشاهقة).

لقد حقق النص اعلى درجة من الجمالية في بيان العلاقة بين (الأنا والآخر) بعد اتكاء الكاتب على الثنائية الضدية (الفقر والغنى)،وفي بيان هويته السردية التي انطلقت من النص وعادت اليه، في تحديد واضح من لدن جبران لإثباتها .

وتأسيساً على ماتقدم ، فقد طغت بعض الثنائيات الضدية في الاعمال السردية "لجبران خليل جبران" ،انطلاقاً من محاولة التمسك بالهوية وبحثاً عن ذاته امام الاخر،بعد ان كانت الحياة العامة مع المجتمع المهجري في نظر جبران خليل جبران توحي بشيء من القسوة في ظل سطوة الغربة والحرمان النفسي،لذا فقد افرزت لنا بعض نصوص جبران خليل جبران شعوراً عميقاً في الذات نتيجة لعملية التباين مابين الوطن والشتات.

نتائج البحث

- طغت ثنائية (الأنا والآخر) في الأعمال السَّردية ،واحتلت مكانةً هامة في الفكر العربي الحديث، ومنها أدبيات الكاتب جبران خليل جبران.
- كشف البحث عن تجليات العلاقة بين الأنا والآخر في ضديتها وفقاً لما انتجته قريحة الكاتب جبران خليل جبران.
- كشف البحث من أن الثنائيات الضدية تمثل صورة للعلاقات التي تجمع المفاهيم المتضادة أو المتناقضة.
- كشف البحث عن تجلياً واضحاً للهوية السردية المضطربة وكراهية الآخر ضمن سياق الصراع تمثلت بإيراد مجموعة من الثنائيات المتضادة في نصوص جبران خليل جبران.
- لمسنا من خلال البحث تحولاً واضحا في الاسلوب الجبراني من القصصي الى المباشر، بعد أن بدأ جبران يتخلص من مفاهيمه القديمة منتقلاً الى الاسلوب المباشر،الانسب للتعبير عن رؤيته ، متخلصاً من الشكوى ونبرات الضعف، وبات اسلوبه الجديد يحمل دلالة القوة والوضوح.

مصادر البحث

١. .بول ريكو الهوية والسرد ،تر: حاتم الورفلي، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ،ط ١، ٢٠٠٩م.
٢. جاك دريدا ، أحادية لغة الآخر أو ترميم الأصل، ،تحقيق :ابراهيم محمود-عزيز توما،دار الحوار للنشر والتوزيع،ط ١، ٢٠٠٩م
٣. جبران خليل جبران ،المجموعة العربية الكاملة ، تقديم سامي ج الخوري ،دار كتابنا للنشر،المنصورية – لبنان(د ط) ،٢٠١٤م.
٤. جبران خليل جبران ،نصوص خارج المجموعة،جمع وتقديم انطوان القوال،دار الجيل بيروت،١٩٩٤م.
٥. جميل صليبيا ،المعجم الفلسفي،دار الكتاب اللبناني – بيروت ،ط: ١،١٩٧١م.
٦. الخطيب القزويني ،الايضاح في علوم البلاغة، مراجعةمحمد عبدالقادر الفاضلي، المكتبة العصرية –صيدا –بيروت،ط١، ٢٠٠٨م.
٧. سمر الديوب ،الثنائيات الضدية،دراسة في الشعر العربي القديم، ،منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ،وزارة الثقافة دمشق،(د ط) ٢٠٠٩م.
٨. ماجد عبد الحميد الكعبي ،الثنائيات الضدية في نماذج من الشعر العباسي، ،مجلة اطراس،السنة الاولى العدد الثاني،نيسان ،جامعة البصرة – العراق ،٢٠٠٦م.
٩. مجدي وهبة – كامل المهندس معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب ، ،مكتبة لبنان-بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.
١٠. محمد عبدالمطلب ،ابحاث في اللغة والادب ،اللغة العربيه وهويتها ، ،دائرة الثقافة والاعلام الشارقة ، ط١، ٢٠١٥م.
١١. مراد وهبه المعجم الفلسفي (معجم المصطلحات الفلسفية)، ، دار قباء الحديثة، القاهرة، دط، ٢٠٠٧م.
١٢. ميجان الرويلي و د.سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٣، ٢٠٠٣م.

Research sources

1.Paul Rico, Identity and Narration, Tr: Hatem Al-Warfali, Dar Al-Tanweer for Printing, Publishing and Distribution, Edition 1, 2009 AD

2. Jacques Derrida, Monolingualism of the Other or Restoration of the Original, edited by: Ibrahim Mahmoud-Aziz Touma, Dar Al-Hiwar for Publishing and Distribution, 1st Edition, 2009 AD.

3. Gibran Khalil Gibran, The Complete Arab Group, presented by Sami J. Al-Khoury, Ketabna House for Publishing, Al-Mansouria-Lebanon (d i), 2014 AD.
4.. Gibran Khalil Gibran, Texts outside the Collection, compiled and presented by Antoine Al-Qawwal, Dar Al-Jeel Beirut, 1994.
5. Jamil Salbia, The Philosophical Dictionary, Lebanese Book House - Beirut, Ed.: 1,1971 AD.
6. Al-Khatib Al-Qazwini, The Explanation in the Sciences of Rhetoric, revised by Muhammad Abdul Qadir Al-Fadhili, The Modern Library - Saida - Beirut, 1st Edition, 2008 AD.
7. Samar Al-Dayoub, Duality of Antagonism, A Study in Ancient Arabic Poetry, Publications of the Syrian General Book Authority, Ministry of Culture, Damascus, (d i) 2009 AD.
8. Majid Abdul-Hamid Al-Kaabi, Antibody Dualism in Models of Abbasid Poetry, Atras Magazine, First Year, Second Issue, April, Basra University - Iraq, 2006 AD.
9. Majdi Wahba - Kamel Al-Mohandes, A Dictionary of Arabic Terms in Language and Literature, Lebanon Library - Beirut, 2nd Edition, 1984 AD.
10. Muhammad Abdul-Muttalib, Research in Language and Literature, Arabic Language and Its Identity, Sharjah Culture and Information Department, 1st Edition, 2015 AD.
11. Murad Wahbeh, the Philosophical Dictionary (Dictionary of Philosophical Terms), Al-Haditha House, Cairo, Dec, 2007.
12. Megan Al-Ruwaili and Dr. Saad Al-Bazai, Guide to the Literary Critic, Arab Cultural Center, Casablanca, 3rd Edition, 2003 AD.

The Ego and the Other: An oppositional relationship (Gibran Khalil Gibran as a model)

Ghanim Abdul Sada Khalif
alshowily@yahoo.com
Prof. Essam Asal Hassan
Drisamalasal@gmail.com
Al-Mustansiriya University / College of Arts / Department of Arabic Language

Summary

There is no doubt that the process of revealing the other does not take place in isolation, for they are two sides of one client, for each of them seeks to achieve and prove its existence at the expense of the other, as there is no existence of the ego except through the other, and since every duality in philosophy has a relationship that connects both parties, so the relationship Antagonism represents a picture of relations that bring together contradictory or contradictory concepts, so we will try to understand the manifestations of the relationship between the ego and the other in opposition to it, according to what was produced by the ideas of the writer Gibran Khalil Gibran in crystallizing these concepts within the limits of the concept of narration.